أغـــاريد المنـــافى

شعر

م. وحيد حامد الدهشان

قصيدة

سلسلة إبداعية غير دورية
يشرف على إصدارها
ناصر صلاح – وحيد الدهشان
العدد (١٥)
أغسطس ٢٠٠٧ م

أغاريد المنافي

هـي الـنفسُ كـم ذا سـعتْ للـنجاةِ
ومـا عـادَ في العمـر غـيرُ الفـتاتِ
وكـم علَّمـتها صـروفُ اللـيالى
فـساءلتُها فـي خـريفِ الحـياةِ
فطافـتْ ورفَّ جـناحُ الخـيالِ
بهـا حـيثُ كانـتْ ربـا الذكـرياتِ
وجـاءَ الجـوابُ جلـياً بحـينٍ
وحيـناً سـراباً بـدا في فـلاةِ
وقالـت علـى شـاطيء الأمنـياتِ
وأحلامُهـا فـي دروبِ الـشتاتِ

يلـوحُ لى البحـرُ طـوداً ثـم ينـشطرُ
ويهـبطُ الغـيمُ فـى أفقـى وينفطـرُ

وللهديـــرِ لحـــونُ الـــرعبِ يرســـلها

يـصفو الـتكدُّرُ حـين الـصفو يـنكدر

وتُقـــبلُ المـــوجةُ الـــشمَّاءُ عالـــيةً

وتلطـمُ الـصخرَ في عـنفٍ وتنكـسر

كم خطَّ ذكراه فوق الرملِ ذو ولهٍ

لكـنها تحـت خطـو الـريحِ تندثـر

وكــم تعالــتْ قــلاعٌ وهـــى واهـــيةٌ

وذنـبُ مـن شـادها للمـوتِ مُغْتَفَـر

وللقـــصورِ فَـــناءٌ بعـــد زينـــتها

وفـى حـنايا التمنـى تعلـقُ الـصور

عينـى بـضوءِ منـاراتِ الهـدى ثملـتْ

وبـات دمعـى بـلا عيـنين ينهمـر

أيـن الـنوارسُ هـل ملَّـتْ ملامحـنا

لمـا اخـضرارُ الحـنايا راح ينحـسر

وأفلــتتْ هــدأةُ الأيــامِ مــن يــدنا

وفـى سكون المدى الضوضاءُ تنتشر

يـا بحـرُ كيف ابـتلعتَ الـشمس غاربـةً

وبــات يــرفلُ فــى أنــواره القمــر

تعـبتُ يـا بحـرُ مـدُّ الجــزرِ يرمقنـى

وفى انهمار الأسى فليصمت الوتر

وقالــــتْ وقــد بُــصِّرَتْ بالقفـــارِ

ولا مـــن دلــيلٍ ولا مـــن مـــنارِ

إذا صـــار قلـــبُ المـــدائن فَظَّـــاً

فقـد يمـنحُ الحـبَّ قلـبُ الـصحارى

مــــداخلُها باتـــساع المــــدى

وتاريخُهـــا مـــترعٌ بالــــندى

وعاشـــت تلــوكُ الــضلالَ طــويلاً

وعاشــت طــويلاً بحــضن الهــدى

وفـــى عمقهـــا تـــستقر الحكايـــا

ويـــشدو بهـــنَّ لـــسانُ الحُـــدا

هـــو الـــرملُ شـاهدُ صـدقٍ علــى مـا

رأى مـــن نجـــاةٍ بجـــوفِ الـــردى

ومــن ضـلَّ فـى مـوكبِ الـنورِ عمـداً

ومـــن رغـم غـيمِ الـضلالِ اهـتدى

ومـــن لم يـــرَ الحـــقَّ بـــين يديـــه

ومـــن عايـــنوا وجهَـــهُ فـــى المـــدى

ومـــن أفلحـــوا فـــى اصـطياد الأمانـــى

ومـــن أطلقـــوا ألـــفَ ســـهمٍ سُـــدى

ومـــن كـــان فـــيها ومـــن لم يكـــنْ

ومـــن قـــصَّ آثـــارَ رجـــعِ الـــصدى

هـــنا للخـــيول الـــصهيلُ المـــدوِّى

إذا هـــبَّ ذو نخـــوةٍ مُـــنجِدا

هـــنا للمــــروءات ذكـــرٌ تحــــدَّى

طقـــوسَ الفـــنا وانثنــــى مُنـــشِدا

يــــردِّدُ قـــبل الخلـــيل لحـــوناً

ويُـــصغى لـــه الكـــونُ إن غـــردا

هـــنا كـم هـــنا مـــن كـريمِ الــسجايا

ورايـــاتِ مجـــدٍ عَلَـــتْ مَحْـــتِدا

مآثـــرُ جـــودٍ وحـــبٍ وفـــضلٍ

غـدتْ فـى هجـير الـرؤى مقـصدا

ومـــن رام رِيَّـــاً وكـــان ظمــيَّاً

فلابُـــدَّ أن يقـــصدَ المـــوردا

وقالـتْ وقـد خـانَ مـن صُنْتُ عهـدى
وأهـــونُ مـــن ذاكَ لـــو زرتُ لحْـدى
فمـــثقالُ غـــدرٍ يفـــوقُ الرواســـى
فمـاذا عـن الغـدرِ مـن غـير حـدٍّ

عيـناكِ مـا عادتـا فـى الليلِ أقمـارى

ولا حديـثُكِ أمـسى لحـنَ قيـثارى

بحـــرُ المـــودةِ هـــبَّتْ فـــيه عاصـــفةٌ
وبـــتُّ مـــستغفراً مـــن كُـــلِّ أوزاري
أســـتغفرُ اللهَ مـــن حُبّـــي وعاطفتـــي
ومـن وفائـي ومـن صدقي وأشعاري
أســـتغفرُ اللهَ مـــن عفـــوٍ ومـــن ثقـــةٍ
بهـا الأظافـرُ أدمـتْ عمـقَ أغـواري
أســـتغفرُ اللهَ مـــن صـــبرٍ علـــى عـــنتٍ
أقسى على قلبِ حُرٍّ من لظى النار
أستغفرُ اللهَ حـسنُ الظـنِّ فـي زمنـي
بـــه يـــئنُّ الفتـــى مـــن غـــربةِ الـــدار
أســـتغفرُ اللهَ مـــن عهـــدٍ وفـــيتُ بـــه
فلـم أجـدْ لي نظـيراً غـير " سِنمار"

وقالـــتْ وقـــد ضـــلَّ حـــادي المـــسيرْ
معافـــي العـــيونِ وأعمـــي الـــضميرْ

يَجِـدُّ بـنا فـي سـوادِ اللـيالي
و يقعـدُ عـندَ الـصباحِ المـنيرْ

الـوجهُ فـي فلـكِ الـتألقِ يأفـلُ
والخطـو فـي قـيدٍ يتـيه ويـرفلُ
متعثـرُ اللمحـاتِ دونَ غـشاوةٍ
وتـراه فـي دُهْـمِ المواقـفِ يهـزل
تتلعـثمُ الكلمـاتُ وهـي مهيـضةٌ
وعلـى جـناحٍ مـستباحٍ تـرحل
فـي حـيثُ لا كـنهٌ يفـسِّرُ كـنهها
ونـرومُها بـين الـشموسِ فـتُوحِل
ولطالمـا انـتفضَ الهـزيمُ مهـدداً
فـإذا بمـوؤودِ الـرجولةِ يجفـل
وتـنافخَ المأفـونُ فـي اسـتعلائه
ونقـولُ هـيَّا إذْ بـه يـتعلَّل

يـشتطُّ فـي صـمتٍ صـداهُ مُـؤجِّجٌ
غيظَ الألى حملوا الأسى وتحملوا
ويبـيعُ أحـلامَ الـسنابلِ كلمـا
طَفِـقَ المُكَـبَّلُ للغُفَـاةِ يُـؤوِّل
وُيحَـصْحِصُ الحـقُّ الوضـيُ لغافـلٍ
ولغـيِّه مـن كـلِّ فـجٍّ ينـسل
فمتـى يـشبُّ الـصرحُ عـن أطـواقه
ومتـى تـشامخَ بالبـناءِ المعـول

وقالـتْ وقـد لاحَ وجـهُ الـوطنْ
عبوسـاً يُقطِّـبُ للمـؤتمنْ
ويـضحكُ فـي وجـه مـن عـاشَ نـذلاً
و مـن حـجَّ لكـنْ لبـيتِ الـوثنْ

تفـيأتُ رمـضاءَها والظـلالا
وجُـرِّعْتُ زقـومها والـزلالا

بــذلتُ الــذى قــد بــذلتُ احتــسابــاً

وضَـــنَّتْ وكانـــتْ تـــريدُ ابـــتذالا

تَـــصبرَّتُ كـــى تـــصطفينى الأمانـــى

فعـــزَّتْ جمـــيعُ الأمانـــى مـــنالا

وأســرجتُ روحــى وطــاب احــتراقٌ

عسى الجـرحُ يلقـى الغـداةَ انـدمالا

وأدمـــنتُ عِـــشْقَ التـــى لا ترانـــى

وأطعمـــتُها وارتـــضيتُ الهـــزالا

وأرخــصتُ فــى دربهــا كــلَّ غــالٍ

فغالــتْ بقطــعِ الطــريقِ الوِصَــالا

ومـــا زلـــتُ أرنـــو إلـــيها بـــصدقٍ

ومــن أجلـها كــم طلــبتُ النــزالا

ومـــا زال يُلقـــى علـــيها ضـــباباً

مــن الــوهمِ زيــفٌ وضــيعٌ تعــالى

فــلا الــيأسُ أوهــنَ منّــى مُــراداً

ولا الـشوقُ فى القلـبِ خَـفَّ اشـتعالا

ومهمــا المــسافاتُ بالــنأى طالــتْ

فمازلـــتُ حُـــبّاً أشــدُّ الــرحالا

وقالــتْ وقــد جــنَّ لــيلُ المآســى

ولا مـــن مُـــدامٍ ولا مـــن نواســـى

وحاولـــتُ أن أتناســـى همومـــى

فـــزادتْ بليلـــى وعَـــزَّ التناســـى

لا الحـبرُ حـبرى ولا الأوراقُ أوراقـى

فـى منبعِ النهرِ أضحى يظمأُ الساقى

وصـرتُ أنظـرُ فـى طَـيَّاتِ ذاكرتـى

عَلِّـى أُعـيدُ بهـا تـرتيبَ أنـساقى

لكـنما الحاضـرُ المـنكودُ يَدْهمنـى

بـسهم نـسبيةٍ مـن قـوسِ إطـلاق

فـصاحبُ القـيدِ حـرٌ فـي سلاسـله

والحـرُّ يرسـفُ فـي أوهـامِ أوثـاق

والـسمُّ أصـبحَ معـسولاً وتخطفـه

أيـدي الـضحايا بإرعـادٍ وإبـراق

وإن أتـيتُ بتريـاقٍ أُقدّمـه

لم يقـبلوه كـأنّ المـوتُ ترياقـي

وكـم مـددتُ لهـم أطـواقَ مـرحمةٍ

فلـم يُـبالوا وغالـوا نـبضَ أطواقـي

حاولـتُ أن أطفـئَ الـنيرانَ حولهمـو

وحاولـوا فـي لهيبِ المـوجِ إغراقـي

يـصدقونَ الـذي فـي الـوهمِ خايلـهم

ويغـضبونَ إذا صـدّقتُ أحداقـي

غـروبُهم فـي سمـاءِ الكـونِ ضَـوّأها

ويُظلمُ الكـونُ مـن شمسي وإشراقي

وكــلٌّ إخفــاقِهم فــوزٌ وملحمتـــي
ضد الطواغيتِ ليستْ غيرَ إخفاق
وجــرَّأتهم علـــى خيلـــي خلائقُهـــم
ونحـو جـرذانهم لم تـسعَ أخلاقـي
فهـــل ألامُ إذا ردَّدتُ يـــا وطنـــي
بــرغم حُبِّــي و آلامــي وأشــواقي
لا الحـبرُ حـبري ولا الأوراقُ أوراقـي
فـي منبعِ النهرِ أضحى يظمأُ الساقي

وقالـتْ وفــي كفِّهــا قــبضُ ريــحْ
تُــضمدُ فــي الــصدرِ ذاكَ الجــريحْ
فمـــن ذبَّحـــوا كـــلَّ فجـــرٍ ولـــيدٍ
يخافـــونَ حُـــمْـــرَةَ وجـــهِ الذبـــيحْ

وضـــقنا بحمـــل تـــلال الثوانـــي
وضـــاقت علـيـــنا تخـــومُ الـــزمانِ
وهـــبَّتْ ريـــاحُ الـــسمومِ العواتـــي
وفـي التـيهِ ضـاعتْ سمِـاتُ المكـان

ومـــادتْ بـــنا راســـياتٌ قطعـــنا
إلى منـــتهاها جـــذورَ التوانـــى
وفـــى النـــبعِ كانـــتْ بقايـــا ســـرابٍ
وَجفَّـــتْ لـــديها حلـــوقُ الأمانـــى
زرعـــنا بـــوادٍ جـــديبٍ رؤانـــا
ولم نجـــنِ إلا فـــراغَ الأوانـــى
وغنَّـــى لـــنا الـــصمتُ كـــلَّ مـــساءٍ
فمـــا أطـــربتنا هـــناكَ الأغانـــى
ركبـــنا بحـــورَ الكـــلامِ انتـــشاءً
فمـــا أوصـــلتنا لـــضوء الموانـــى
وعـــشنا وفـــى كَفِّـــنا قـــبضُ ريـــحٍ
كأنَّـــا ظفـــرنا بملـــكِ الجِـــنان
مـــددنا بـــساحِ العـــزاءِ الأيـــادى
وجـــاءتْ إليـــنا وفـــودُ التهانـــى

وذقنا المرارات من كل كف
وأسدوا إلينا الأذى بامتنان
ودُرنا بكلِّ مدارٍ أرادوا
ودارتْ علينا كئوسُ الهوان
وها نحنُ والوقتُ يمضي وئيداً
نُردِّدُ من حزننا كلَّ آن
وضقنا بحمل تلال الثواني
وضاقت علينا تخوم الزمان
وقالتْ وفي الحلقِ طعمُ المرارْ
وللعين يبدو ختامُ المدارْ
وما عدت أخشى حِرابَ الليالي
فقد مزقتني سيوفُ النهارْ
المطايا أسلمتنا للمنافي
تشتهينا كلُّ هاتيكَ السوافي
صَادَقَتْنا كلُّ أشواكِ البوادي
خاصمتنا كلُّ أزهارِ الفيافي

نحـــنُ سِــفْرٌ كــلُّ مــا فــيه اغــترابٌ
مــن مــتونٍ مــن شــروحٍ مــن غــلاف
فــى ابــتداءِ الــدربِ طُفْنا إذ أضاءتْ
فـــوقَ ســـارينا أغاريـــدُ الطـــواف
فـــى خـــتامِ الــشوطِ أجمعـــنا قلـــوباً
أن لـــبَّ الجمـــعِ أشـــتاتُ الخــلاف
مـــا نـــراه الـــيومَ فيـــنا مـــن حـــضورٍ
لم يكـــنْ فى أمـــسنا غـــيرَ انـــصراف
مـــذْ زرعـــنا بـــذرةَ الأنـــوارِ فـــيها
لم تحـــنْ لـــلآنَ أوقـــاتُ القِطَـــاف
هـــل أنـــا هـــاوٍ تمنـــيه لعـــوبٌ
لم يـصلْ غيرى علـى متنِ احتراف
لم يفـزْ مـن كـان فـى الكـتمانِ بئـراً
لا ولم أظفـــرْ أنـــا رغـــم اعترافـــى

مــن ألــومُ الآنَ فــى هــذا التماهــى
نبئينــى أنــتِ يــا هــذى القوافــى

وذكّـــرتُها فـــى كـــلامٍ أخـــيرْ
مـــشيراً لـــوجه الحـــياةِ المـــنيرْ
بمـــن عَّـــبَدتْ فـــى الحـــياة يـــداه
بلطـــفٍ لـــنا كـــلَّ دربٍ عـــسيرْ

كـم مـرةٍ ضـاقتْ علـى الحلـمِ القيـودْ
وتكـاثفـتْ ظُلَـمٌ وزمجـرت الـرعودْ
والـــريحُ بعثـــرت الأمانـــيَّ الحـــسا
نَ وقلـتُ مـركبُ أمنياتـى لـن تعـود
خفـــتتْ أغاريـــدُ الحـــياةِ وعالمـــى
نـسج المـواتَ بأفقه صـمتُ اللحـود
ذَبُلَـــتْ نجومـــى واســـتحالَ وميـــضُها
دمعـاً ومـا للدمـعِ عـينٌ أو خـدود

ووقفـــتُ أنظـــرُ للـــدروبِ مـــسائلاً

كيف المسيرُ وكلُّ ما حولى سدود

فوضـــت أمـــرى للـــذى يعـــنو لـــه

كلُّ الـذى تحـويه أرجـاءُ الوجـود

كـشفَ الـذى بـى رحمـةً سـبحانه

وكأننـى فـى الـتوِّ أولـدُ مـن جديـد

القاهرة في ٢٠٠٧/٤/٢٥م